المبدأ 22

أخف الخطأ، فعندما يُخطئ الفيل حتى الضفدع يتهكّمه!

المغزى:

كل ابن آدم خطّاء.... صحيح! ولا أحد معصوم عنه لأن هذا من طبيعة خلقتنا كبشر، ولكن ليس من الحكمة أن نهوى الخطأ دائماً، ولا أن نشهّر به علناً.. بل من الحكمة أن نعرف كيف نجنب أنفسنا الأخطاء المتكررة وفي حال حدوثها نعرف كيف نخفيها لأن نظافة اسمنا وسُمعتنا يعتمد على ما نخفيه لا على ما نكشفه، لهذا كن كأولئك الذين يتدبرون أمر إخفاء أخطائهم عبر إيجاد «كبش فداء» يرجعون إليه سبب خطأهم، يصّبون عليه اللوم دائماً كي يبقوا بمنأى عن أي مسؤولية ويظهرون بمثال الكياسة والكفاءة والنقاء. فالأقوياء بذاتهم، بأفعالهم، بمواقفهم ينسون مسألة الاعتذارات، لأنها تفتح الباب على شكوك بعدم كفاءاتك وعلى ملاحظة سجلّ أخطائك السابقة والمدفونة، لذا من

obeikandl.com

الأفضل أن تُبعد الأنظار عن هفواتك بأن تُوجد إبليساً جاهزاً لرمي «الحصى» عليه قبل أن يدرك الناس بأنك غير مؤهل.

في بعض القصص التي تُروى عن الحيوانات أن القرد يمسك بمخلب صديقه القط لالتقاط ثمار الكستناء المشوية من الموقد، فيحصل على الثمار التي يشتهيها دون أن يؤذي نفسه. وبسياق حياتك اليومية قد لا تجد مخلب قط لتستخدمه ولكن الرجل الفطن (المحنّك) يرتدي قفازاً ليلطّف وقع الضربات، أو من يبقي يديه نظيفة ولا يصدر عنه إلا التصريحات التي تتحدث عن الإنجازات المجيدة. ليكن مثالك مثال الجرّاح الحاذق الذي يمسك المبضع ويبتر الورم بحركة ماهرة وحاسمة. لأن ذوي السلطة لا تُرهقهم الأخطاء التي يقعون فيها بل الطريقة التي يعالجون بها تلك الأخطاء.

المثال

عاصم شاب في الخامسة والعشرين من عمره، نال شهادته الجامعية في الهندسة، ولا زال يتابع دراسته العليا بغية الحصول على شهادة الدكتوراه، يعيش بعيداً عن ذويه منذ دخوله الجامعة لوجودهم في إحدى القرى الريفية النائية، لكنه يزورهم في الإجازات.. يحدثنا عن مشكلته «تكمن مشكلتي في علاقتي مع أبي وأمي، إذ إنني لا أستطيع التعايش بأسلوبهما معي، فمنذ طفولتي وأنا أخاف من كل شيء: المستقبل المجهول الناس ومنهما. أخاف من نظرات أبي

ونبرة صوته ويعنفني على أي أمر مهما كان سخيفاً. دخلت مرحلة المراهقة فصارت هذه المعاملة تترك ألماً في نفسي، بل ازدادت عندما كان يمنعني من صحبة الأصدقاء خوفاً عليّ من أي سوء، حتى ملابسي يشتريها لي حسب ذوقه ويصطحبني إلى الحلاق الذي يتعامل معه ويشرف على عمله.. كان أبي يريدني أن أعرف كل شيء من دون أن يُعلّمني، كيف؟ فأنا إذا شاركت بأي مناقشة كان يشير إلي بالسكوت، كأنني طفل لا يفقه شيئاً، مع العلم بأنني كنت من المتفوقين في دراستي ومع نهاية كل عام كنت أنال شهادة تهنئة وتنويه. ورغم ذلك كان ممنوعاً عليَّ التقرب من أي فتاة، وحتى الفتاة الوحيدة التي شعرت بميل نحوها عندما عرضت عليها أن نتزوج بعد تخرجي رفضت وتركتني.. ومنذ سنة، التقيت في بلدتنا خلال الصيف إحدى قريباتنا وهي تعيش مع أهلها في إحدى دول الخليج، أحببتها وبادلتني هي الحب، وعندما صارحت أهلي برغبتي الصادقة بالزواج من هذه الفتاة، وجدتهم يثيرون في وجهي عاصفة ما زالت آثارها في نفسي، وحجتهم أن هذه الفتاة تكبرني في السن، وأنها ليست جميلة بل قبيحة، وأنها ستأخذني لأعيش معها كي تبعدني عن أهلي، وهناك ستصبح الكلمة لها وستتحكم بي وبمصيري وبأولادي الذين سأنجبهم منها وأن ولاء هؤلاء الأحفاد سيكون لأهلها ولن يكون لي أي تأثير عليهم، وأنها ستحرم أهلي رؤيتهم.. سافرت حبيبتي ولم أستطع أن أفعل شيئاً.. لقد ضاقت

الدنيا في وجهي ويئست بسبب هذه المعاملة من أهلي.. أريد أن أستقل في حياتي وأشعر بأنني حرٌ في قراراتي».

يرمي عاصم كل آفاته على أناس آخرين، ففي الوقت الذي يرغب فيه بأن يكون صاحب قرار والعيش باستقلالية نجده يضعف أمام موقف الأهل.. وهذا ليس بمستغرب فكل من يتربّى في كنف عائلة محافظة تستمر في أعماقه مآثر التربية التقليدية القائمة على خطأ التوجيه الصحيح، خطأ الحد من الطموح، خطأ عدم تعزيز الاستقلالية للأبناء، خطأ تقرير الأهل عن الأبناء في مسائلهم، خطأ وخطأ... لائحة لا تنتهي حتى يشب الأبناء وهم فاقدو الشخصية، يترك تأثيره ليس عليهم وحسب وإنما على علاقاتهم بالآخرين.. لكن يظل الفرق بين إنسان وآخر عندما يتوقف أحدهم أمام نفسه ويقول: وماذا بعد؟ هل أترك هذه الخيوط تلتف حول رقبتي وأصنع منها حبلاً لإعدام أحلامي، مستسلماً للبقاء تحت عباءة الشخصية التي رسمها الوالدان؟ أم أنتفض وأتخذ القرار المناسب لي؟ من هنا على عاصم أن يبدأ، فهو على عتبة شهادة جامعية عليا، مما يعني أنه أصبح يدرك ويعي أنه بالإمكان أن يثبت ويقرر ويبيّن شخصيته المستقلة والخاصة، عليه أن يرفض أن يكون إلا ما يريد أن يكون عليه، حتى ولو تكبد من المشاق الكثير ودفع ثمن التغيير.. لكن عليه أن يحاذر هنا من أن يقع في سوء تنفيذ هذا التغيير المطلوب كي لا يتهور في قرار غير سليم لمجرد التمرد لا أكثر.. لهذا كم

حري بنا أن نستخدم تكتيك القرد ومخلب القط لكي ننال ما نريد، كيف؟ ليأخذ وقته في التفكير بعيداً عما قالوه ليتحرر من كل هذه الأقاويل التي تدور حوله، فالصورة تبدو أوضح لو ابتعدنا عنها، وليعي أن الحرية والاستقلال ليسا شعارات نرددها بل هي خطوات نمارسها بوعي.

الملخص:

افعل أي شيء سارّ بنفسك وأي شيء كريه عن طريق طرف آخر غيرك، فباعتماد المسار الأول تكسب حظوة وباتخاذ المسار الثاني تبعد عن نفسك النية السيئة، ليخرج منك كل شيء طيب فقط، وإن لم تستطع أن تكون طيّباً فكن حريصاً على الأقل. فالحُمق لا يتكون من ارتكاب الحماقة ولكن من العجز عن إخفائها.

المرادف:

- أفضّل أن أخون العالم كله.. على أن أدع العالم يخونني.

(الجنرال تساو تساو، 155ـ220م)

- السمعة تعتمد كثيراً على ما هو مخبأ أكثر من اعتمادها على ما هو مشاهد.

(بلثازار غراسيان.)

- إن وجدت نفسك في حفرة فأول شيء عليك القيام به هو التوقف عن الحفر.

(ويل روجرز)

obeikandl.com